# الرقص على حافة الجرح

## وقصص أخرى

# الرقص على حافة الجرح
# وقصص أخرى

مطابع قطر الوطنية
تليفون : ٤٤٤٤٨٤٥٢/٤ ٩٧٤+ - فاكس :٤٤٤٤٩٥٥٠ ٩٧٤+
ص . ب : ٣٥٥ - الدوحة - قطر

تصميم الغلاف
والرسومات الداخلية
الفنان التشكيلي: علي عبدالهادي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الخامسة ٢٠١٢م

جمال فايز

# الرقص على حافة الجرح

مجموعة قصص قصيرة

وموقع الكاتب على شبكة الانترنت
www.jamalfayez.com
البريد الإلكتروني
jamalfayez@yahoo.com

# الكهل الصغير

١

منذ أن جاءت الى المدينة الغيمة الكبيرة . وحجبت عن أهلها أشعة الشمس . وماؤها لا يكف عن الهطول صباحاً ومساءً . فنبت العشب الأخضر في كل الارجاء . وعم الخير كل الأحياء . ومع مضي الأيام . هدمت البيوت المبنية من الحصى والطين . وظهرت بدلاً منها القصور المقامة من الأسمنت والحديد . وجميعها قصور فاخرة . تكسو جدرانها الأشجار . وتتلألأ في السماء كالدرر من كثرة المصابيح التي تطوقها من جميع الجهات . فتجذب إليها الأنظار . وتأسر القلوب . وتبهر الألباب .

٢

في داخل المستوصف الصحي . طابور بشري . ثلثه جالس على الكراسي . ومنهم من ملّ من طول الانتظار . فترك المكان . وفي المقابل . أناس يأتون ومن بينهم كهل يتوكأ على عصاه . يئن من الألم . وقف مثل بقية البشر . ينتظر دوره . نهض رجل في عقده الخامس . أشار إليه ان يجلس في مكانه . شكره . جدد رغبتَه . كرر له شكره . وحينها . خرج مريض من غرفة الطبيب . وتقدم الذي يليه . شاب في عقده الثاني . غير أن الرجل استأذنه في دخول الكهل ، ورد الفتى مقطب الجبين.

- هذا دوري

وأجابه الرجل باسماً:

- أعرف . والله أعرف ، لكن كبر السن يابني لايرحم

وقاطعه الكهل هامساً:

- دعه يدخل

- تفضل .. إيه ، جيل قلبه من صخر

- يارجـ .. ل

- لما كنا في عمره ..

- ذلك عهد ولكل عهد أهله

- الله يرحم تلك الأيام

أقبلت فتاه في عقدها الثالث . زائغة العينين . تحمل طفلاً في الرابعة من عمره . تضمهُ الى صدرها . ينزف دماً من مؤخرة رأسه . ترافقها ممرضة . أدخلتها حالة مستعجلة . أُخرج الشاب الى غرفة الانتظار . وبعد مضي ساعة من وجودها في غرفة الطبيب . خرجت متوجهة الى هاتف المستوصف العمومي . قاطعت الطرف الآخر .. « الو .. آنا سونيتا ، هذا ولد مال انت مات ، أجيب بيت ولا يودي المقبرة ؟»

الدوحة - يناير ١٩٩٧م

# حطام المسافات البعيدة

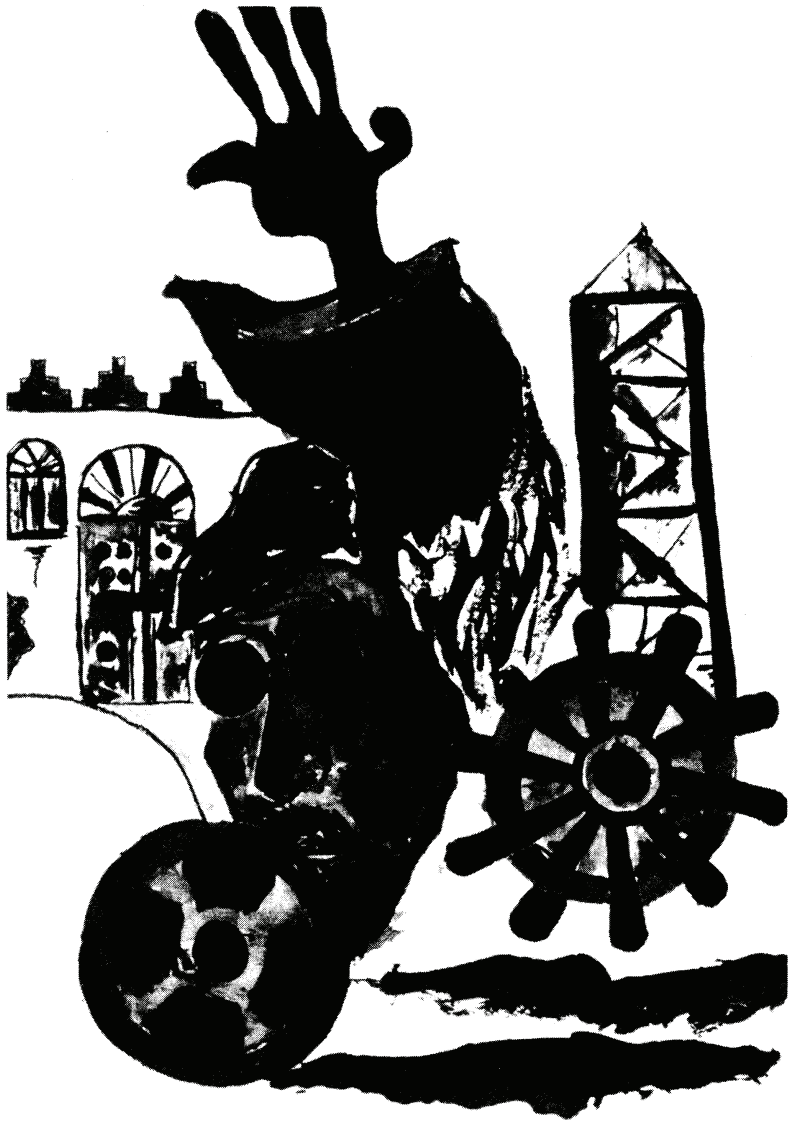

١

ريح لافحة . وأجساد نحيلة تخرج من المسجد . تتجه إلى أعمالها وبيوتها . هرباً من عنفوان الريح وقيظ الظهيرة . ومن الخارجين . ينسل من بينهم هيكل آدمي في عقده السادس . كفيف البصر . مقوس الظهر . يتوكأ في مشيه على عصا كتآكله . يضرب بها الأرض ، فإذا سمع صوتاً حاداً غير من مسار طريقه . ثم يعاود السير في نفس الطريق . الذي ظل يمشي فيه منذ صباه وفاء لوصية والده . آباه الذي ظل لآخر أيامه يأخذه معه إلى الصلاة . ولا يمنعه منها إلا إذا أقعده المرض أو الإبحار إلى صيد اللؤلؤ.

وتبسم لما تذكر ماكان يسمعه من البحاره عن والده ، فمن أجل حباته كان والده لا يتردد عن السفر إليه في مختلف أوقات مواسمه ، حتى يوم أوكل إليه مهمة «النوحذة» ، ظلت نفسه تهفو إليه ، فيمكث أوقاتاً طويلة ينتزعه من أحشاء اليم . يكنزه في «الديين» ، بينما الذين في الخارج يدب الخوف في نفوسهم ، ولا يرتاح بالهم إلا إذا ظهر إليهم ، وفي الغالب يخرج من أعماق البحر مع إطلاقه صيحات عالية تصل الى عنان السماء ، فيسحب «السياب» «الأيده» ، يأخذ منه «الديين» ، يمد يده ليرفعه الى السفينة ، لكنه في بعض الأحيان يضحك ويعود ليغوص من جديد ، فيقف من على ظهر السفينة ومن في اليم مبهوتين ، يتبادلون النظرات والكلمات ، غير مصدقين مايرون فيه من جلد وإقدام و... ، تنهد ، أخذ نفساً عميقاً وهو يتذكر شيئاً آخر ، يوم أخذه والده لأول مرة ليعمل «تباباً» على ظهر السفينة . وفي هذه المرة ، غاص والده كعادته لكنه لم يُر من بعدها ثانية ، ومع مضي الأيام سرت إشاعة بأن جنية البحر فُتنت به فاتخذته خليلاً ، وقال أحد الغاصة ، انه رآه في المنام ، يمعن النظر في

محارة ضخمة ، ظل مشدوهاً بها ، هائماً فيها حتى أنسته نفسه ، وأجاب «عراف» لما سئل ، انه لا يزال حتى الآن يجمع المحار من قاع البحر.

ذكره لأبيه قيأ الدمع من عينيه ،، أحس بثقل في قدميه ، فجلس في مكانه ،

وتضاعف شجنه لما تذكر أمه وقسمها له ألا يقرب البحر ، فوافق على مضض ، واكتفى بالعمل عند أحد «الطواشين» ، وتذكر يوم طرد من الدكان عندما اتهم بالسرقة ، وسجنه ثلاث سنين ، فبقيت أمه وحدها تقاوم شظف الحياة والوحدة ، وظلت على هذا الحال حتى وافتها المنية ، وان دب الهمس ، أن جنية البحر ، من شدة هيامها ببعلها ، ومقتها من ترديده اسمها ، عزمت على الثأر منها بسحر أسود ليعجل في منيتها ، وحرمت وحيدها من نعمة البصر.

٢

مرقت سيارة صفراء ، مخلفة وراءها دخاناً كثيفاً ، وحصيات متطايرة ، أيقظته من ماضيه ، فأدار وجهه الى الوراء ، بينما قائدها واصل السير حتى أوقفها امام باب المنزل ، ترجل يحييه بصوت عال «هاي بابا» ، ودخل المنزل موصداً الباب من وراءه .

الدوحة - ديسمبر ١٩٩٦م

---

(١) النوخذة: قائد السفينة

(٢) الديين: وعاء يشبه الشبكة وفيه يتم وضع المحار بعد أخذه من قاع البحر.

(٣) السياب : الشخص الذي يشرف على الغائص.

(٤) الأيده : الحبل الذي يمسكه الغائص وينزل به ويظل ثابتاً بيد السياب الموجود على ظهر السفينة ليسحبه به عند عودته.

(٥) التباب: الاسم الذي يطلق على الصبي الذي يقوم بأداء الخدمات الخفيفة على ظهر السفينة.

(٦) الطواش: تاجر اللؤلؤ.

# فحيح العاصفة

١

الامطار تهطل ، ورجل نحيف أشيب يجلس بمحاذاة الباب الخارجي للمسجد الكائن في أطراف المدينة ، يسترق النظر الى السماء والسمع لأزيز العاصفة ، فتحيي في مخيلته ذكريات صباه ، واللعب تحت وقع المطر مع رفاقه الصغار ، ووالده الذي رآه ذات مرة فزمجر وتوعده بالضرب ، فهرب خائفاً الى المنزل ، واحتمى بوالدته من طوفان الغضب الآتي إليه ، إزداد هطول المطر ، فتأمل حباته ، واشتداد زخاته ، أسند رأسه الى الجدار ، ابتسم وهو يتذكر من جديد والده ، والتعب الذي أصابه من كثرة الصراخ ، وكلماته لوالدته .. «أنت تفسدين أخلاقه» ، وردها عليه «مالنا غيره ، صغير ومايفهم».

٢

برق ورعد وبرد . يجمد العظام النخرة ، فيتكور على ذاته ، يلامس صدره ركبتيه ، ويتغامز الأطفال في شأنه ، يجرون من أمامه وحوله ، ويتجرأ بعضهم فيدوس على أطراف قدمه ، يتأوه من شدة الألم مع ابتسامة تشرق في وجهه ، يدعو لهم بالهداية واللعب خارج أسوار المسجد ، لكن الأطفال لم يبالوا لرجائه ولم يتركوه في حاله إلا عندما رأى أحدهم هراً صغيراً ، زائغ العينين ، يبحث عن مكان يحميه من هطول المطر ، فصاح في رفاقه يناديهم وهو يجري نحوه ، وقف الهر في مكانه ، يحدق في الطفل ، وصل بقية الصبية ، التقط أحدهم حجراً ، كشر الهر عن أسنانه ، قبل أن يمتزج دمه مع ماء المطر ، سقط يحمي صغيره ، ركله الصبي بقدمه ، طار في الهواء ثم وقع يتزحلق على الأرض قبل أن ينهض ويجري من جديد إلى وليده ، يحاول احتواءه ، لكن الصغار وقفوا أمامه ولم يتخلص منهم إلا عندما خرج رجل من المسجد ، صرخ

فيهم ، تفرقوا هاربين ، أكمل وهو يتجه الى الهر ... «جيل فاسد لا يرحم».

٣

لا مطر . لا برق . لا رعد . لا برد . لا بشر . هدوء تام . مميت . ممل . لم ينقذه

منه إلا المنسلين من داخل المسجد ، فيشكر من يجزيه العطاء ، ويدعو لمن يتحدث معه .

فجأة ، انتفض مقطب الجبين حينما خرج من داخل المسجد شاب حسن المظهر ، وقف أمامه يخرج نقوداً من جيبه ، وفي اللحظة التي قدمها إليه وتلاقت عيناهما سويا في اللحظة ذاتها ، تسمر الفتى في مكانه ، تحجرت أنفاسه ، أما هو فلم يبادله الإحساس ذاته ، أخذ نقوده من على الأرض وقذفها في وجه ابنه .

الدوحة - نوفمبر ١٩٩٦م

# تابوت من لحم

١

حاوية قمامة . تطل منها رؤوس أكياس عديدة . توقفت بالقرب منها سيارة فارهة . طلاؤها أحمر . ومن الداخل اسود . ورجل يترجل منها . يتقدمه كرشه المنفوخ . ومطفأة سجائر يمسكها بيده اليسرى .

٢

اقترب من الحاوية . ينفض فيها أعقاب السجائر . وقتها تحرك أحد الأكياس . دار يلتفت ناحيته . شهق متراجعا الى الوراء . تسمر في مكانه . جاحظ العينين ،غير مصدق أن الكيس الذي أمامه إنما يغلف وجه عجوز . أما هي فقد ظلت تنظر إليه بلا اكتراث . تقضم بقايا لحم نتن عالق بعظم .

٣

بعد حين . تبخر ذعره . تملكه حب الفضول . اقترب بحذر . حدق فيها وفي التقرحات التي تملأ وجهها . والزبد السائل من ثغرها . الممتزج مع فتات طعام قذر تلحسه بلسانها . فتقيأت عيناه من المنظر . واشمأزت نفسه من رائحتها . وزكم أنفها من رائحة عطره . ولاحظ أيضا . في عينيها ابتسامة تشرق من وحل الحزن . ورأت فيه ابتسامة غارقة في مستنقع الشجن . ألقت عليه التحية . مدت يدها إليه . قهقه وهو يتجه إلى سيارته . خلف وراءه رملاً وحصيات كثيرة . بينما هي واصلت من جديد ، تبحث عن بقايا طعام في أحشاء أكياس القمامة .

الدوحة – أغسطس ١٩٩٦م